اعرف نفسك

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى

وبعد..

أيها المسلم :

اعرف نفسك - هذه حكمة مأثوره قالها بعض الفلاسفة - وهى قطعا حكمة صادقة، لأن معرفة النفس هى أساسُ النجاح فى رحلة الحياة هذه التى نقطعها من الميلاد إلى الموت - وأنت تقضى هذه الرحلة مع نفسك، تصاحبها وتصاحبك، وتعتمد عليها فى كل أمورك - والنفس هنا هى ذاتك، هى أنت - ومعنى «اعرف نفسك» - ادرسها، واعرف مميزاتِها وعيوبَها حتى تقطع رحلة الحياة على هدى وبصيرة . إذا عرفت ما أعطاك الله من مميزات استطعت استغلالها، وصقلها، والانتفاع بها - إن كانت عندك موهبة، نميتها، وهذّبتها، ووصلت بها إلى درجة تنفع بها الناس وتخدم البشرية، إن أعطاك الله علمًا علمت الناس، وإن أعطاك فنا أمتعت الناس - وهكذا .. وفى الجانب الآخر من الصورة تستطيع أن تعرف عيوبك، وأن تقف عندها طويلا، فتعالجَها وتصلحَ منها، والله سبحانه لم يخلق إنسانا كاملاً، وكل واحد منا له حسناته وسيئاته، وفضائله ورذائله، والعاقل من عرف النوعين، وتخلص من العيوب والسيئات.

ومن الغريب أن بعض الناس يظنون أنهم مُبَرأون من العيوب، وأن الله أعطاهم كل الفضائل، أعطاهم الفهم والذكاء، والعقل والمعرفة، ومنهم من يبالغ فى ذلك ويجعل من نفسه واعظاً لغيره، مرشداً لسواه. وليس عيبا أن تبذل النصيحة، فالدين النصيحة - ولكن العيب أن ترى عيوب الناس، ولا ترى عيوبك، وأن تأمرهم بالمعروف وتنسى نفسك، وأن تنهاهم عن المنكر وتُهمل ذاتك - هذا هو العيب كله، وهذا هو أكبر الأمراض النفسية.

كان اليهود يفعلون ذلك مع الناس، كانوا يعرفون الحق ويكتمونه، وكانوا يأمرون الناس بالبر والخير ويتناسون أنفسهم - ونزل القرآن الكريم يحكى عنهم، وفى الوقت نفسه يعُلمنا نحن ويرشدنا - قال تعالى : ﴿ **ولا تلبسوا الحق بالباطل، وتكتموا الحق وأنتم**

تعلمـــون ﴾سورة البقرة آية ٤٢ - هو فى الأصل خطاب لليهود - لكنه تعليم لنا نحن المسلمين - ولقد سألهم الله بعد ذلك سؤالا فيه كل التوبيخ والإنكار، وفيه أيضا كل التوجيه والإرشاد لنا - قال تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر، وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب . أفلا تعقلون** ﴾ سورة البقرة آية ٤٤.

يا أخى المسلم - ابدأ بنفسك فاعرفها، وعلمها، وعالج عيوبها، ثم علم الناس وأرشدهم، وإلا صدق عليك قول الشاعر :

يأيها الرجـــل المعلـــمّ غيـره ... هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ

تصف الدواء لذى السقام وذى القنا ... كيما يصحَّ به، وأنت سقيمُ

ابدأ بنفـــسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

النصيحة الصادقة الخالصة للنفس قبل أن تكون للناس، هذا خلق يتطلبه منا المنطق والعقل - إذ كيف تعلّم غيرك وأنت جاهل؟ كيف تدعو إلى فضيلة ليست فيك ؟ كيف تنهى عن رذيلة أنت غارق فيها؟ ستكون موضع السخرية، وسيكون نصحُك موضَع الرفض والإنكار. ولقد عاب الله على بعض المؤمنين أنهم تمنوا الجهاد، وقالوا كلاما عجزوا عن تنفيذه فقال ﴿ **يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ سورة الصف آيات ٢:٣ - وعلمنا شعيب ألاّ ننهى عن شىء ثم نفعلَه، وحكى القرآن الكريم عنه ذلك فقال ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنها كم عنه** ﴾ سورة هود آية ٨٨ - ومن الواضح أن المسؤولية تكون أخطر إذا كان هذا الناصح المخالف من العلماء الذين تصدوا للوعظ والإرشاد - روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتنزلق أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه، فيُطيف به أهلُ النار فيقولون : يافلان - ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وَأنهاكم عن المنكر وآتيه».

وبعد

فإن معرفة النفس، والبدءَ بعلاج عيوبها - هما سرُّ النجاح فى رحلة الحياة.

فاللهم بصِّرنا بعيوبنا واهدنا إلى سواء السبيل

ولله الحمد فى الأولى والآخرة

obeikandl.com

معادن الناس

الحمد لله كاشف البلاء باسط الأرض ورافع السماء واختار من الناس أصفياء يحبهم ويحبونه فباعد بينهم وبين أعمال الأشقياء فتقبل منهم أحسن ماعملوا وتجاوز عن سيئاتهم يوم اللقاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ.

أما بعد..

فإن الحياة تجارب - تصهر معادن الناس ، وتكشف الأصيل من الزائف، وتخط سطورا فى كتاب الحياة يستفيد منها صاحب التجربة، ويستفيد منها غيره من الناس.

وتجارب الحياة أنواع :

تجربة بدنية وأخرى روحية - وتجربة فردية وأخرى جماعية، وتجربة خلقية وأخرى نفسية.

تجربة فيها من القسوة والعنف ما يذيب العزيمة، ويفتت الإرادة، ويُشقق جامد الصخر.

وتجربة فيها من الرقة واللطف ما يحيى ميت الأمل، ويبعث بالى العزم، ويسترد الطريدَ الخائفَ إلى ظلال الأمان والسلام.

تجربة تصيب البدن وحده لكنها تمتحن الروح وقد أصابت البدن، وتصل إلى الأعماق وقد وقفت عند الظواهر - وتُقطع نياط القلب وقد مسّت جارحة من الجوارح.

وتجربة تقصد إلى الصميم فتجرح اليقين، وتمزق الأعماق، وتسيل الكبد دماء صارخة بالألم والعذاب.

والناس أمام التجارب والمحن أصناف

من الناس من يقابل التجربة بالصراخ والعويل - ينسى كرامته، ويفقد شجاعته، يغفُل عن إيمانه - بل قد يُضيع هذا الإيمان. تصيبه المحنة، أو تناله التجربة فينقلبُ على وجهه، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين.

ومن الناس من يقابل التجربة بالجمود والغفلة، لا يدرك ما فيها من بلاء واختبار، ولا يعرف كيف يُقابلها، أو يتصرف أمام نوازلها، فهو كالبهيمة العجماء، تقف هادئة فى الحظيرة، وتجتر ناعمة طعامها، والجزار يشحذ لها سكينه الماضية - ولئن كانت البهيمة المسكينة تعرف المصير لما ساغ لها طعام - ولئن كان هذا الجامد الغافل يعرف معنى المحنة لما قابلها بالبله والسكون.

وكلا الرجلين خارج عن دائرة الإيمان.

أما الأول فلأنه فقد يقينه - **وأما الثانى** فلأنه فقد وسيلة التمييز والإدراك. **وصنف ثالث** - تُفزعه النقمة، وتبطره النعمة - إن أصابه خير فرح، وإن أصابه ضُرٌّ جزع، وعند الفرح لا يذكر ربّ النعمة، وعند الجزع لا يعرف إلا ربّه، يصدق عليه قول الله ﴿ **وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما . فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه - كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون** ﴾ سورة يونس آية ١٢ . ويصدق عليه قول الله ﴿ **وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر فى آياتنا** ﴾سورة يونس آية ٢١ .

وما أروع التصوير القرآنى حين يعرض علينا صورة المخادعين الكاذبين، الذين يرفعون إلى الله أكف الضراعة كلما نزلت نازلة، ويأخذون على أنفسهم العهود والمواثيق، حتى إذا مستهم رحمة الله كانوا أشد الناس بغيا وكفرانا . ﴿ **هو الذى يسيركم فى البر والبحر - حتى إذا كنتم فى الفلك . وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق - يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ سورة يونس آيات ٢٢ :٢٣ .

ومن الناس من ملأت حلاوة الإيمان قلبه، وسكنت الطمأنينة جوانبه - إن أصابه خير شكر - وإن أصابه ضُر صبَر - يرجو لقاء ربّه ، ويتجه بروحه وبعمله إلى الآخرة، يصدق عليه قول الله : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله ، وإنا إليه راجعون** ﴾سورة البقرة آيات ١٥٥ :١٥٦ .

وبعد فيا أخى الكريم :

هذه أصناف من البشر، ومعادن من الناس أمام ألوان من التجارب ومحن الحياة - فأين أنت منهم ؟ وما مكانك بينهم؟

هل آثرتَ العاجلة على الآجلة؟ واخترت الدنيا على الآخرة، وكنت بين الجزعين الباغين؟

أو أنت ممَّن رضى بقضاء الله، وأقبل على المحنة يتعرف أبعادها، ويخبرُ أغوارها، ويخرج منها بزاد من الصبر واليقين؟

كن حيث أردت لنفسك - فقد وَضَحَتْ لك الحقائق، والله يقول : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله - وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ سورة النساء آية ٧٩.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

obeikandl.com

لئن شكرتم لأزيدنكم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما ينبغى لجلال وجهه ولعظيم سلطانه اللهم إنى لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وصل اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد..

أيها الناس :

أمر الناس عجيب غريب - ترى الرجل منهم يعترف بالجميل لمن أحسن إليه، ويقدم له من الشكر والثناء ألوانا وصورا، فهو يمدحه فى كل مجلس، ويتفنن فى عرض صور الشكر - فيقدمه باللسان، أو يُعبّر عنه بالبيان، وقد يبالغ بعضهم فى ثنائه وشكره حتى يخرج به عن حدود الكرامة.

والشكر على النعمة فى ذاته خلقٌ محمود - يدل على أصالة طبع شريطة أن يكون فى حدود الكرامة الإنسانية - بل هو فريضة توجبها الطباعُ السليمة، والعادات الكريمة. لكن الناس حين يقدمون الشكر للمخلوق ينسون تقديمه للخالق المنعم - لمن لا تحصى مِنَنُه - ولا تُعد مِنَحُه ، ولا تنتهى خيراته.

إن شكر الله فريضة «واجبة» - أليس هو الخالقُ البارئ المصور؟ جعل للإنسان عينين، ولساناً وشفتين، وهداه النجدين - أخرجه للدنيا سيدًا مطاعا، وفضّله على سائر خلقه - وسخرّ له الليل والنهار، والشمس والقمر، والبرّ والبحر، وضمن له الرزق : ولم يَطلب منه مقابل هذه النعم وغيرها إلا اعترافًا بربوبيته، وتقديسا لجلاله، وشكرًا لنعمائه ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ سورة النحل آية ١٨.

ولقد وضح الله لعباده قيمة الشكر فقرنه بالذكر حين قال : ﴿ **فاذكرونى أذكركم، واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾ سورة البقرة آية ١٥٢ - مع أن درجة الذكر رفيعة - قال تعالى : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ سورة العنكبوت آية ٤٥ - وسبحان الله - وصف نفسه فقال ﴿ **إنه غفور شكور** ﴾ سورة فاطر آية ٣٠ - ووصف عباده فقال : ﴿ **وقليل من عبادى الشكور** ﴾ سورة سبأ آية ١٣.

ومن دلائل فضل الله أنه حين طلب من عباده الشكر وعدهم بزيادة لا حدود لها، ولا

استثناء منها - فهى زيادة بلا نهاية، اقرأوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾سورة إبراهيم آية ٧ - هكذا بدون تحديد للزيادة، ولا بيان لنوعها، فهى زيادة مطلقة، تناسب قدرة الله وكرمه.

مع أن الله تعالى قد جرت عادته أن يَعد ويجعل وعده مقيدا بمشيئته :

وعد عباده بالغنى، وجعله فى حدود المشيئة : ﴿ **فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء** ﴾سورة التوبة آية ٢٨.

ووعدهم بإجابة الدعوة فى حدود المشيئة : ﴿ **فيكشف ما تدعون إليه إن شاء** ﴾سورة الأنعام آية ٤١.

وجعل الرزق بغير حساب فى حدود المشيئة : ﴿ **يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾سورة البقرة آية ٢١٢.

وجعل المغفرة فى حدود المشيئة : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾سورة النساء آية ٤٨.

وجعل قبول التوبة فى حدود المشيئة : ﴿ **ويتوب الله على من يشاء** ﴾ سورة التوبة آية ١٥.

أما الشكر فقد جعل ثوابه زيادة مطلقة، وعطاء غير محدود.

ولقد كان محمد صلوات الله وسلامه عليه أشدَّ الناس شكرا لله، لأنه كان أكثرهم رغبةً فى المزيد من فضل الله - غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأتم عليه نعمته، ومع ذلك كان أول الناس طلبا للقرب من الله، وكان أكثرهم ثناء على الله - كان يطيل السجود لله فى جوف الليل، فيطيل الدعاء، والبكاء - ويقول وجبينه الكريم على الأرض خضوعا لربه «أعوذ بعفوك من عقابك - وأعوذُ برضاك من سَخَطك، وأعوذ بك منك - لا أُحْصى ثناءً عليك - أنتَ كما أثنيت على نفسك».

ورُوى عن عطاء أنه قال : «دخلتُ على عائشة رضى الله عنها - فقلت : أخبرينى بأعجبِ ما رأيتِ من رسول الله ﷺ . فبكت وقالت : وأىُّ شأنه لم يكن عجبا؟

أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى - أو قالت فى لحافى - حتّى مسّ جلدى جلدَه، ثم قال : يابنةَ أبى بكر ذرينى أتعبدّ لربّى، قالت قلتُ : إنى أحبُّ قربك لكنى أوثر هواك ،

فأذنتُ له فقام إلى قربة ماء، فتوضأ فلم يُكثر صبَّ الماء، ثم قام يُصلى فبكى حتى سالت دموعهُ على صدره، ثم ركع فبكى. ثم سجد فبكى - ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة.

فقلت : يارسول الله : ما يُبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبكَ وما تأخر؟

قال : أفلاَ أكون عبدًا شكورا؟ ولِمَ لا أفعلَ ذلك وقد أنزل الله تعالى على﴿ **إن فى خلق السموات والأرض** ﴾ سورة آل عمران آية ١٩٠.

أفلا أكون عبدا شكورا؟ هكذا كان رسول الله مع ربّه، فأين نحن من رسول الله مع ربنا؟ ورسول الله هو قُدوتنا الحسنة، ومثلنا الأعلى؟

أين نحن منه وقد جعلنا نعم الله علينا وسيلة للعصيان لا للشكران، وأداة للشرّ لا للخير، وصدق الله : ﴿ **وما يستوى البحران - هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج - ومن كل تأكلون لحما طريا، وتستخرجون حلية تلبسونها، وترى الفلك فيه مواخر - لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ﴾ سورة فاطر آية ١٢.

فعلينا أن نشكر الله سبحانه وتعالى عما نحن فيه

والحمد لله رب العالمين.

المؤمن بين الخوف والرجاء

إن الحمد لله نحمده ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أما بعد..

فيا أيها المسلمون :

الحديث عن الإيمان حديث ممتع ومفيد - فيه بحث ودراسة، وفيه معرفة وهداية، وفيه روحانية صافية، تمنح المؤمن شيئا من سلام النفس، وعذوبة التفكير، وراحة الضمير، والمؤمن الصادق يعيش دائما على صلة بربّه، يرجو ثوابه، ويخشى عقابه - يقرأ القرآن أو يستمع إليه - فيجد فيه من آيات الوعيد ما يذهب بعقله، ويطيش بُلبِّه ، ويملأ جوانبه بالخوف والرهبة - ويقرأ القرآن، أو يستمع إليه، فيجد فيه من آيات الرحمة، ما يعطيه الثقة والأمل، ويملأ قلبه بالرغبة والرجاء. وهكذا : يعيش بين الأمرين : الخوف والرجاء، مؤمنا صادقا مخلصا فى عقيدته وطاعته، كلما زاد خوفه زادت تقواه، وكلما كثر رجاؤه اقترب من الله.

ونخلص من هذا إلى أن الإيمان يعتمد على جناحين :

الخوف / الذى يُبعد عن الذنوب، وينجى من المهالك، ويعصم من الأخطاء.

والرجاء / الذى يدفع إلى الطاعة ، ويخفف من تكاليف العمل، وأثقال العبادة. وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تجمع للمؤمن صفتى الخوف والرجاء: قال الله تعالى فى سورة السجدة : ﴿ **إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها ، خروا سجداً، وسبحوا بحمد ربهم، وهم لا يستكبرون - تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفا وطمعا، ومما رزقناهم ينفقون - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ سورة السجدة آيات ١٥ : ١٧.

وبهذا التعبير الرقيق صورت الآيات بعض صفات المؤمنين : إنهم عباد مخلصون - إذا تُليت عليهم آيات الله، خشعت لها قلوبهم، واطمأنت نفوسهم، وأطاعوها قولاً وفعلا. وسبحوا بحمد ربهم تسبيح الموحد الخاضع، البعيد عن الكبرياء والرياء، وهم يهجرون

مضاجعهم، ويتركون قومهم، ويتجهون إلى بارئهم فى عبادة ضارعة، ونجوى خاشعة، ويدعونه ويعبدونه خائفين طامعين. وكأنما يسبحون على جناحى رهبة ورغبة إلى رحاب الله الواسعة.

ويلتقى مع هذه الآيات ما رواه الإمام أحمد، عن ابن مسعود، عن النبى ﷺ قال : «عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وطائه ولحافه، من بين حبِّه وأهله، إلى صلاته، رغبة فيما عندى، وشفقة مما عندى - ورجل غزا فى سبيل الله تعالى، فانهزموا، فعلم ما عليه من الفرار، وماله فى الرجوع، فرجع حتى أهريق دمه، رغبةً فيما عندى، وشفقة مما عندى. فيقول الله عزّ وجل : انظروا إلى عبدى - رجع رغبة فيما عندى، وشفقة مما عندى، حتى أهُريق دمه».

وخلاصة الفكرة فى الحديث أن كل واحد من الرجلين، فعل ما فعل رغبة فيما عند الله ، وشفقة مما عند الله، والرغبة هى الرجاء، والشفقة هى الخوف.

ولا عجب - بعد ذلك - أن يكون جزاء المؤمن إذا خاف ورجا، فوق تصور العقول : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ سورة السجدة آية ١٧ .

قال الحسن البصرى : أخفى قوم عملهم، فأخفى الله له ما لم تَرَ عَين، ولم يخطِرْ على قلب بشر.

والجمع بين الخوف والرجاء نوعُ من الإحسان فى الطاعة، والإتقان فى العبادة، وعلامةٌ على تمكن العقيدة من القلب - قال تعالى : ﴿ **ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعا - إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ سورة الأعراف آية ٥٦ .

فالله سبحانه ينهى عباده فى هذه الآية عن الإفساد فى الأرض، وهذه صفة سلبية تمنع المؤمن عن المنكر - ثم يأمرهم بعبادته عبادة قائمة على ركنى الخوف والرجاء - وهذه صفة إيجابية - فى الأولى كف عن الفساد، وفى الثانية عبادة خائفة راجية - وهذا هو الإحسان ورحمة الله قريب من المحسنين.

ومن عظمة التعبير القرآنى أن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ **ادعو ربكم تضرعا وخفية** ﴾ سورة الأعراف آية ٥٥ - والتضرع هو التذلل والاستكانة - والذلة لله نوع من الخوف، ونوع من الرجاء.

والله سبحانه وتعالى لا يرد دعوة الخائف الطامع، لقد استجاب لزكريّا حين ناداه، فوهب له يحيى، وأصلح له زوجه، وأتم عليهم جميعا نعمته - وعلّل ذلك بأنهم عباد مخلصون، يسارعون إلى الطاعة، ويجمعون بين الخوف والرجاء - قال عزّ من قائل: ﴿ **وزكريا إذ نادى ربه، رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين، فاستجبنا له، ووهبنا له يحيى، وأصلحنا له زوجه - إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات، ويدعوننا رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين** ﴾ سورة الأنبياء آيات ٨٩ : ٩٠.

وخطب أبو بكر فى الناس فأوصاهم بالتقوى، وأمرهم بأن يجمعوا بين الخوف والرجاء، ثم قال لهم: «إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿ **إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات، ويدعوننا رغباً ورهبا، وكانوا لنا خاشعين** ﴾ سورة الأنبياء آية ٩٠.

يا أخى المؤمن:

إذا أردت فلاحا فى دنياك، وأماناً فى أخراك فكن مع الله كما كان زكريا، واعبده خوفا من عقابه، ورغبة فى ثوابه - تكن من أحبابه وأصفيائه الذين قال فيهم: ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ سورة السجدة آية ١٧.

إن الخوف والرجاء علامتان من علامات الإيمان، تجتمعان فى قلب المؤمن، ولا تغنى إحداهما عن الأخرى، فالمؤمن خائف راهب، والمؤمن مؤمل راغب.

وحقيقة الخوف تستحق منّا شيئا من تفصيل: إن المؤمن الخائف واحد من ثلاثة:

- **مؤمن قصّر** به عمله، ونظر إلى صحيفة حياته فوجدها سوداء بالذنوب، فاضطرب فؤاده، وخشى لقاء ربّه، وكلما زاد جرمه زاد خوفه - فالخوف هنا نتيجة للذنوب، وهو أقل الدرجات فى ميزان التقدير، وكل ما فيه من خير أنه قد يحمل صاحبه على الطاعة.

- **ومؤمن ثان يخشى الله لأمرين:**

لأن فى صحيفة حياته ذنوبا فهو يخشاها - ولأن فى قلبه معرفةً بالله فهو يخشاه وهذا أعظم درجة من صاحبه، لأنه جمع فى قلبه بين أمرين: الخوف من نتيجة أعماله، والخوف من الله لذات الله.

- **ومؤمن ثالث** لا يخاف الذنوب فصحيفته بيضاء، لكنه مع ذلك لا يأمن لمكر الله،

فهو يخاف الله لمقام الإكبار والإجلال، يخافه لمجرد الخوف من عظمته - وهذا أعرف بالله، وأقرب إلى الله، وعلى هذه الدرجة كان الأنبياء والمرسلون - وكان أوَّلهَم فى ذلك محمد بن عبد الله صلواتُ الله وسلامه عليه.

قال ﷺ : «أنا أخوفكم لله» - وفى رواية البخارى من حديث أنس : «والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له» - وبهذا وصل إلى التقوى عن طريق الخوف.

وفى رواية عن عائشة نعرف السبب الحقيقى للخوف وهو المعرفة بالله - قال ﷺ «والله إنى لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية».

فالخوف بالله إذا نشأ عن العلم بالله كان دليلا على صدق الإيمان وكمال اليقين - قال الله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ سورة فاطر آية ٢٨ - أى إنما يخشاه حقَّ خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفةُ بالله أتم، والعلمُ به أكمل - كانت الخشيةُ له أعظم - والعالم بالله فى الآية هو العارف العابد لا من قرأ فى كتب العلم كما قد يتبادر إلى الأذهان.

عن ابن عباس رضى الله عنه : «العالم بالرحمن من عباده، من لم يشرك به شيئا، وأحّل حلاله، وحرّم حرامَه، وحفظ وصيتَه ، وأيقن أنه ملاقيه، ومحاسب بعمله».

وقال سعيد بن جبير : «الخشية هى التى تحول بينك وبين معصية الله عزّ وجل».

وقال الحسن البصرى : «العالم من خشى الرحمن بالغيب» . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : «ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلمَ عن كثرة الخشية»، وعن مالك : «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلمُ نورٌ يجعله الله فى القلب».

فهذا إجماعُ من علماء الأمة على أن كثرة القراءة والرواية والحفظ ليست دليلا على المعرفة، ولا سبيلا إلى الخوف والخشية، وإنما المعرفة الصحيحة هى إدراكُ عظمة الله، والوقوف عندأوامره، واجتناب نواهيه، والوصول بذلك كله إلى التقوى.

عرف يوسف عليه السلام ربّه، وحفظ غيبته، فحفظه ربّه ﴿ **وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه، وغلقت الأبواب، وقالت : هيت لك. قال : معاذ الله - إنه ربى أحسن مثواى، إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ سورة يوسف آية ٢٣ .

ما الذى يمنعه، والأبواب مغلقة، والعيون غافلة، وفاتنة المدينة وسيدتها تدعوه إلى

نفسها، إنه الخوف من الله، وصدق الله ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ سورة يوسف آية ٢٤.

وهذا واحد من سبعة يظلهم الله يوم القيامة بظله، يوم لا ظل إلا ظله - حدثنا عنه الصادق الأمين فقال : « ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله» - هكذا إنى أخاف الله. فالخوف يباعدُ بين المؤمن وبين المعصية، ويقرّب بينه وبين الله، ولقد قيل : «من خاف شيئا هرب منه، ومن خاف الله هرب إلى الله».

والله لا يردّ طارق بابه، فالهروب إليه نجاة من عقابه، وسبيل إلى ثوابه، وثواب الخائف مضاعف - والقرآن الكريم يحدثنا عن ثواب الخائفين فى سورة الرحمن حديثا طويلا نكتفى منه بقول الله : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان - فبأى آلاء ربكما تكذبان، ذواتا أفنان، فبأى آلاء ربكما تكذبان، فيهما عينان تجريان، فبأى آلاء ربكما تكذبان، فيهما من كل فاكهة زوجان، فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾سورة الرحمن آيات ٤٦ : ٥٣.

فهما جنتان، فيهما من النعيم ألوان، ومن دونهما جنتان، وصدق الرسول : «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله هى الجنة».

وقد عرفنا أن أعلى درجات الخوف ما كان ناشئا عن معرفة الله، وتقديساً لذاته، ويقيناً بكماله، وأن مثل هذا الخوف ينتهى بالمؤمن الصادق إلى التقوى، فالأمر درجات - معرفة - فخوف، فتقوى. وهكذا كان ﷺ عرف الله فخافه كل الخوف، ثم اتقاه حق تقواه، ولهذا قال : «والله إنى لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية - وقال : «والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له» والخوف فضيلة محمودة، وطاعة مقبولة، ولقد مدح القرآن الكريم عباد الله الخائفين منه، وأثنى عليهم، وجمع لهم «الهدى والرحمة، والعلم والرضوان».

أما الهدى والرحمة ففى قوله تعالى : ﴿ **ولما سكت عن موسى الغضب، أخذ الألواح، وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٤ - ذلك لأن موسى غضب على قومه بعد أن أضلّهم الهوى، وعبدوا العجل فألقى الألواح فتحطمت، ثم لما سكن عنه الغضب عاد يجمع بقايا الألواح فوجد فيها الهدى والرحمة لكل من خاف ربّه، وملأت الرهبة قلبه - لا لهؤلاء اليهود الذين ضلوا عن سواء السبيل.

وأما العلم ففى قوله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ سورة فاطر آية ٢٨.

وأما الرضوان : ففى قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم، ورضوا عنه - ذلك لمن خشى ربه** ﴾ سورة البينة آيات ٧ : ٨.

فجزاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار، وخلود فى هذه الجنات، ومدح من الله بأنهم خير البرية - ثم تبين الآيات سبب ذلك فتقول - ذلك لمن خشى ربَّه - وأعلى نعمة ينالها الخائف من ربّه هو الرضوان - ولا شىء يفوق ما عند الله من رضوان.

يا أخى المسلم :

إذا كان خوف المؤمن من ربّه يضمن له هذه النعم الأربع - «الهدى، والرحمة، والعلم والرضوان». فإنه يحقق له أمرين آخرين - التذكر والتقوى.

أما التذكر فلأن الله يقول : ﴿ **سيذكر من يخشى** ﴾ أى سيتعظ برسالتك يا محمد من يخشى الله بقلبه، ويعلم أنه ملاقيه، وسيصدق عليه الكتاب : ﴿ **يأيها الإنسان - إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه، فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا، وينقلب إلى أهله مسرورا - وأما من أوتى كتابه وراء ظهره، فسوف يدعو ثبورا، ويصلى سعيرا، إنه كان فى أهله مسرورا، إنه ظن أن لن يحور . بلى : إن ربه كان به بصيرا** ﴾ سورة الأنشقاق آيات ٦:١٥.

الأولى خاف وتذكر فأمن - **والثانى** اطمأن إلى حياته، ونسى بارئه فكان جزاؤه الخسران المبين. وأما التقوى فلأنها غاية المؤمنين، والعاقبة للمتقين، ولهذا أضافها الله إلى نفسه حين قال : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ . التقوى كف عن المعصية، ومسارعة إلى الطاعة نتيجة للخوف، ولهذا كانت غاية الإيمان.

وبعد - فما جزاء الخائف يوم القيامة عند الله؟

وأسارع إلى الإجابة فأقول : إن الخائف يصبح من أولياء الله، يتولاه برعايته وحمايته وعنايته، ويعطيه يوم القيامة، أماناً لا خوف بعده، وسكينة لا خشية بعدها، وسلاما فى النفس وبشرى تعلن على الأشهاد - اقرأوا معى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ سورة يونس آيات ٦٢ : ٦٤.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء - قيل : من هم يارسول الله، لعلنا نحبهم؟ قال : هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب. وجوههم نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» - ثم قرأ : ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾سورة يونس آية٦٢.

هذا هو الأمان والسلام والسرور - وأما البشرى فنوعان :

بشرى فى الدنيا - تتحقق بثناء الناس وحمدهم، وتتحقق بالرؤيا الصالحة، وبشرى فى الآخرة وضحها قول الله تعالى : ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة، ألا تخافوا ، ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا، وفى الآخرة، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم، ولكم فيهاما تدعون - نزلا من غفور رحيم**﴾سورة فصلت آيات ٣٠ : ٣٢. وصدق الله العظيم. وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين.

obeikandl.com

رمضان شهر مبارك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

وبعد..

فقد قال الله تعالى ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾«سورة البقرة آيه ١٨٥».

أيها المؤمنون :

الشهر هو شهر رمضان المبارك وقيل إنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها بالأعمال الصالحة، من الإرماض، وهو الإحراق.

فها هو الزمن دار دورته...

وعادت الأيام المباركة، وهبت علينا نفحات الرضوان، حين أهلّ هلال رمضان. فهفت إليه القلوب وطابت به النفوس، وامتلأت أرجاء العالم الإسلامى بمواكب النور ودعوات الغفران.

ورمضان شهر مبارك، حدثنا عنه الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه فقال : «أتاكم رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلّ فيه مَرَدة الشياطين - لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم».

وهكذا يثبت الحديث أن شهر رمضان فيه خير وبركة، وأن له فضلا متعدد المظاهر - فأبواب السماء فيه مفتوحة، وأبواب الجحيم فيه مغلقة، وليلة القدر وحدها خير من ألف شهر وهى واحدة من ليالى رمضان.

وفضل رمضان على غيره يدفعنا إلى الحديث عن قضية (التفضيل) فى نظر الإسلام لنوضح بعض الحقائق متخذين من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف سندًا لنا ومرجعا.

اقتضت حكمة الله أن يميز بعض خلقه على بعض، وأن يختار بعض المخلوقات فيمنحها فضلا ومنزلة حتى يستقيم أمر الكون، وحتى يتحقق التعاون والتكامل والترابط

بين عناصر الحياة، ومكونات الوجود وصدق الله ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾.

فضل الله بعض المخلوقات، وجعل ذلك من أسرار التوازن فى الكون، ومظهرا من مظاهر القدرة، حتى تبقى هذه المخلوقات فى حدود المفاضلة والموازنة. وفى دائرة المقارنة بين النقص والكمال، وبيان عناصر التميز وأسباب الفضل - ويبقى الخالق العظيم وحده منزها عن المثيل والقرين، متفردًا بالكمال والجلال، وأول ما يبدو لنا من مظاهر التفضيل فى الكون تكريم بنى آدم، وتفضيلهم على كثير من خلق الله، ومصداق ذلك قول الله تعالى ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم، وحملناهم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾«سورة الإسراء آيه ٧٠» والإنسان لهذا أحسن الحيوانات خلقة، وأجملها هيئة، وأبدعها صورة - يمشى قائما على رجليه، ويمشى غيره على بطنه أو على أربع، ويأكل بيديه، ويأكل غيره بفمه ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾«سورة التين آيه ٤» ﴿ **يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك، فى أى صورة ما شاء ركبك** ﴾ «سورة الانفطار الآيات ٦، ٧، ٨» - وللإنسان سمع وبصر كغيره لكنه يمتاز بالعقل والإدراك فيميز النافع من الضار، ويسيطر بفكره على الكثير من مظاهر الحياة فى الكون ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ «سورة النحل آيه ٧٨» - ونظير هذه الميزات تحمل الإنسان عبء التكاليف، ومسئولية الأمانة الكبرى ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا** ﴾«سورة الإسراء آيه ٣٦».

وحين ندخل دائرة الناس وحدهم نجد تفاوتا فى الرزق، وتفاوتا فى المعرفة :

أما التفاوت فى الرزق فمصداقه واقع الحياة، وسند فائدته للمجتمع البشرى قول الله ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق** ﴾ «سورة النحل آيه ٧١» وقول الله ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾. وحكمة ذلك وضحته بقية الآية الكريمة ﴿ **ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾«سورة الزخرف آيه ٣٢»

وأما التفاوت فى المعرفة فدليله قول الله ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** ﴾ «سورة الأنعام آيه ٨٣»- ﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ «سورة الزمر آيه ٩» ثم اصطفى الله من خلقه أنبياء ورسلا منحهم

الفضل، وجعلهم موضع وحيه فقال ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** ﴾ «سورة الحج آيه ٧٥»- ثم فضل الله بعض الأنبياء والرسل على بعض، وجعلهم فى مقام القرب درجات ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ «سورة البقرة آيه ٢٥٣» ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض** ﴾«سورة الإسراء آيه ٥٥».

ومحمد صلوات الله وسلامه عليه أفضل المرسلين، وخاتم النبيين ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ «سورة الأحزاب آيه ٤٠»- وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لىَ الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبيون».

وأمته صلى الله عليه وسلم هى خير الأمم، وصدق الله العظيم ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله** ﴾«سورة آل عمران آيه ١١٠».

ولم تقف حدود التفضيل عند هذا - فإن الحكمة الإلهية امتدت إلى النبات والزرع، ففضلت بعض أنواعه على بعض، فهذا حلو وذاك حامض أو مر - وهذا شفاء ودواء، وذاك سم أو داء، وجلت حكمة الله ﴿ **وفى الأرض قطع متجاورات، وجنات من أعناب، وزرع ونخيل، صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد - ونفضل بعضها على بعض فى الأكل - إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾«سورة الرعد آيه ٤».

وحتى فى الفرائض المكتوبة فضل الله بعضها على بعض، فالصلاة رأس العبادات - وهى فيما بينها درجات. والله سبحانه يقول ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، وقوموا لله قانتين** ﴾ «سورة البقرة آيه ٢٣٨»- فقد خص الله الصلاة الوسطى بمزيد ذكر وفضل : تكريما لها، وتعظيما لشأنها، وحثا على الحرص عليها.

والقرآن الكريم آخر الكتب السماوية ، جاء مصدقا لما سبقه من الكتب ومهيمنا عليه، قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق، مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنا عليه** ﴾ «سورة المائدة آيه ٤٨» فالكتب المتقدمة تضمنت ذكره ومدحه، وبينت أنه سينزل من عند الله على رسوله محمد- فكان نزوله تصديقا لما أخبرت به - ومعنى أنه مهيمن على ما قبله أن القرآن أمين على الكتب السابقة وشهيد عليها فما وافقه منها فهو حق، وما

خالفه منها فهو باطل محرف - لقد جعله الله حاكما على كل كتاب قبله، وأنزله فى آخرها فكان أشملها وأعظمها وأكملها.

وامتدت حكمة التفضيل إلى المكان والزمان :

أما فى مجال المكان فقد فضل الله المساجد لأنها بيوت الله، وصدق جل شأنه ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾«سورة التوبة آيه ١٨» وفى الحديث القدسى «إن بيوتى فى الأرض المساجد، وزوارى فيها عمارها - فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى» - وحتى هذه المساجد قد تفاوتت فى الفضل، وتباينت فى المنزلة، فمنها ما تشد له الرحال - قال صلوات الله وسلامه عليه : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا (يعنى المسجد النبوى) والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».

وأما فى مجال الزمان فقد فضل الله بعض الأشهر على بعض، وفضل بعض الليالى على سائر الأيام، قال سبحانه وتعالى ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ «سورة التوبة آيه ٣٦» وبين الرسول الأمين هذه الأربعة فى خطبة الوداع فقال : «أيها الناس - إن الزمان قد استدار، فهو اليوم كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولها رجب مضر بين جمادى وشعبان - وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم».

ونصل إلى رمضان، فهو خير الشهور - هو شهر الصيام والقيام، شهر القرآن والغفران، شهر الدعاء والرجاء، شهر الجهاد بنوعيه : جهاد النفس وجهاد العدو - فيه انتصر المسلمون على أنفسهم، وفيه انتصروا على عدوهم - ورمضان شهر التقدير والتدبير، فيه يفرق كل أمر حكيم، ويتحقق للمسلمين الخير كل الخير، تحمله الملائكة فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر - ليلة القدر خير من ألف شهر.

الأخ المسلم :

هل نسوق هذا الحديث لنقف عن حدود المعرفة ونقول : صدقت يا أخى المتكلم، ثم نمضى كل منا لشأنه هان هذا الشأن أو عظم.

طبعا لا ياأخى الصائم، أعيذك من مثل هذا - فإن للحديث هدفين :

أولهما : أن نعرف ما نستطيع من أسرار الحكمة الإلهية حتى تمتلئ قلوبنا باليقين.

وثانيهما : أن نجعل المعرفة وسيلة للتغيير ، فنبدل من سلوكنا، ونعدل من نهجنا، ونجعل من هذا الشهر موسم طاعة، نقسم يومنا فيه بين ليل ونهار.

فى النهار عبادة الصيام التى تنمى العقيدة، وتبنى العزيمة، وتصهر الإرادة - تصون اللسان وتطهر الروح وتحفظ الجوارح، تربى الوجدان وتزيل فوارق الطبقية بين بنى الإنسان.

وفى الليل صلاة راضية، ونجوى خاشعة، وقرب من الله حين يهدأ الكون وتصمت الحياة ويلتقى مع هذا الصمت فكر العابد، وقلب الخاشع، وعمق اليقين على أكمل ما يكون اللقاء بين العبد وربه - وهذا شىء من فضل رمضان.

فطوبى لمن صام رمضان إيمانا واحتسابا وأمسك لسانه عن لغو الكلام وباطنه وحافظ على الصلوات فى أوقاتها وأقبل على ذكر الله وشكره، واتقوا الله عباد الله، وتوبوا إليه إنه تواب غفور رحيم.

obeikandl.com